الفن والدين في العصورالوسطى .

د. فيصل بشير محمد الخراز - قسم الفلسفة - كلية الآداب – جامعة مصراته

الملخص

شهدت العصور الوسطى حالة من الرتابة والركود والتخلف في كافة مناحي الحياة، خاصة الفكرية منها، حتى إنها سميت بالعصور المظلمة، وهذا دون شك ألقى بظلاله على كافة الجوانب الفنية والجمالية في زمن ساوت فيه المعتقدات الدينية والروحية تحت سطوة رجال الدين الذين فرضوا تشددهم ومنعهم لكافة مظاهر التحضر التي من شأنها تنوير العقول ونشر العلم و الثقافة الجمالية التي قد تهدد وتضعف سيطرتهم ونفوذهم على العباد.

وبالرغم من ذلك، فقد حدث نمو وتطور نتيجة الاحتكاك بالحضارات والشعوب المجاورة، كان من أهم مظاهرها التنوع الثقافي والجمالي انعكست على الفنون الجميلة بكافة أشكالها وبنسب متفاوتة، وهذا ما تهدف إليه هذه الدراسة من خلال عرض أهم المظاهر الجمالية لذوى الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية كنموذج مدى تأثر كل منهما بالفنون بمختلف أشكالها.

كلمات مفتاحية :– العصور المظلمة، المعتقدات الدينية، الأعمال الفنية، الفن والدين.

ABSTRACT

The Middle Ages witnessed a state of monotony, stagnation and backwardness in all aspects of life, especially intellectual ones, to the extent that it was called the Dark Ages. Urbanization that would enlighten minds , and spread of science and aesthetic culture that may threaten and weaken their control and influence over people.

Despite this, growth and development occurred as a result of friction with neighboring civilizations and peoples, one of the most important manifestations of which was the cultural and aesthetic diversity that was reflected in the fine arts in all its forms and in varying proportions.

Keywords :- Dark Ages, Religious Beliefs, Artworks, Art and Religion.

المقدمة

تعتبر فنون العصور الوسطى متميزة وهامة أنها كانت تعبيراً روحياً ومرآة عاكسة للفكر السائد آنذاك يظهر من خلال تأثير وسطوة الجانب الديني والعقائدي على كافة مظاهر الحياة الحضارية وخاصة الفنية الجمالية منها، ولن نبالغ إذا ما قلنا كل ما اشتمل

عليه الفن من رمزية وجمال ومثالية كان لا يخرج عن تعاليم الدين بل تجده يهدف إلى خدمته وتحقيق أهدافه في زمن اتسم بسمو الوازع الديني والروحي على غيرها من قيم الحياة.

ومع ذلك لم يحظَ الفن بالقبول والرضا التام من قبل رجال الدين، فقد واجه معارضة في العديد من أشكاله ومظاهره، تدرجت من النبذ والمنع، والتحريم الجزئي وحتى القطعي مثل فنون الفن والموسيقى والرسم والنحت، فيما ازدهرت فنون العمارة والزخرفة والخطابة والشعر وما إلى ذلك.

ولكن كما هو معروف، فما بعد الشدة إلا الفرج، فقد ساهمت عدة عوامل ومتغيرات إلى تطور ونمو الوعي الجمالي واتساع الثقافة العامة والفنية وحتى شمل كافة أشكال الفنون الجميلة، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل من خلا لأهم حضارات العصور الوسطى وهما الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية.

أهمية البحث

تقوم هذه الدراسة على عرض أهم المظاهر الفنية والجمالية إبان العصور الوسطى، في زمن كان يتسم بالركود والتخلف فيما عرف بالعصور المظلمة التي تسودها الأفكار الروحية والمعتقدات الخرافية التي كان يروجها رجال الدين لإحكام سيطرتهم وبث نفوذهم على الرعية، وكانت عائقاً لأية مظاهر للتطور، وأية ثقافات قد تنير العقول وتنشر الوعي، وخاصة الجوانب الجمالية والأعمال الفنية التي تتعرض مع المعتقدات الدينية، مما جعلهم ينبذونها ويمنعون تداولها بل وتحريمها في مواضع عدة.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في التعرض للعلاقة الجدلية التي لازمت الفن والدين وتداولها الفقهاء والفلاسفة وعلى مر العصور ولازالت محل خلافات ودون شك لازالت جديرة بالاهتمام والدراسة.

إشكالية البحث

واجه الفن عبر العصور قبل (**أفلاطون platon – 347 ق.م**) وما بعده (**أرسطو Aristotl– 322 ق.م**) (**وتوما الأكويني T-Aquinas– 1274م**) و(**كانط Kant – 1804م**) وآخرين كثر، واجه مشكلة عدم الثبات في نسق واحد، مع تعدد الأفكار والقيم من يربط الفن بالأخلاق والدين، وتأرجح في الرؤى ما بين الفلاسفة ورجال الدين خاصة في العصور الوسطى التي اتسمت بالتخلف والتشرد الديني، وأطلق عليها عصور الظلام.

ومن هنا تأتي إشكالية البحث وتناول هذا الخلاف خلال هذه الحقبة المظلمة في تاريخ أهم الحضارات الدينية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى عرض أفكار الباحث وفقاً لحصيلة من دراسات سابقة من خلال رؤيته الخاصة وفلسفته التي يحاول التفرد بها، ولعل أهم ما جاء فيها كما يلي:

- عرض المظاهر الجمالية والفنية في حقبة العصور الوسطى التي وصفت بعصور الظلام.
- أهمية الفنون ودورها في نمو وتطور الحضارات.

- استعراض الجانب الإيجابي للفنون وتأثيرها وآثارها على مظاهر الحياة الثقافية وتطورها الحضاري.
- طرح العلاقة الجدلية القائمة ما بين الفن والدين، وعرض الآراء المتعارضة التي تحتل بعض المذاهب الدينية والفلسفية.
- إجراء مقارنة ما بين الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية في مجالات الفنون، واستعراض الانعكاسات الجمالية حسب عقائد كل منهما.

الدراسات السابقة

غالباً لا يميل البحاث إلى الخوض في هكذا دراسات جدلية التي تتطرق إلى الجوانب الفنية وعلاقتها بالآراء الدينية، وذلك تجنباً للوقوع في النقد والاحتجاج من البعض من أصحاب الآراء المتشددة التي لا تقبل أية اجتهادات أو منشورات تخالف ما عرفوه من فتاوى ومذاهب يعتنقونها.

لذلك فإن هذه الدراسة المستجدة قد تكون مثاراً للجدل أنها تخوض هذا اليم.

منهج البحث

يرتبط منهج البحث بموضوع الدراسة، فقد اتبعت المنهج التحليلي المقارن في محاولة لعرض فلسفي تاريخي من شأنه تغطية كافة الجوانب المرجوة وتحقيق الغاية المنشودة لموضوع البحث.

تمهيد

بنهاية المرحلة اليونانية التي تميزت بالتطور والازدهار في مختلف الميادين خاصة الثقافية والفنية، فقد شهدت المرحلة اللاحقة لها حالة من الرتابة والجمود أدت إلى تأخر وركود في المظاهر الفكرية والحضارية كافة وهذا ما دعا اكثيراً من المؤرخين إلى إطلاق وصف العصور المظلمة عن تلك الحقبة التاريخية الوسيطة، وإن كان هذا الوصف لا يتسم بالدقة عن تلك الفترة من القرن الرابع وحتى عصر النهضة، ذلك أن هذه الفترة شهدت نشاط وحركة واسعة في ميادين الفكر والعلم والأنشطة الثقافية والفنية وتحديداً عن العرب خلال الفترة الأولى من العصور الوسطى التي تبدأ من القرن الخامس وحتى القرن الحادي عشر[1].

وانعكس هذا الازدهار الفكري على ظهور وتطور الوعي الجمالي الذي اتسمت به الحضارتين المسيحية والإسلامية، رغم ما صاحب ذلك من نزعات متشددة، وتحفظ نحو الدين، ومع ذلك قد ظهرت الروح الفنية العالية في شتى الميادين الفنية فقد خلف المسيحيون والمسلمون ما يدلل على قوة مشاعرهم وحسهم الجمالي واهتمامهم البالغ بذلك من تلك الآثار والتحف والرسومات الدينية والكثير من مظاهر الإبداع في العمارة والأدب على السواء[2].

---

(1) **فتحي إبراهيم**: معجم المصطلحات الأدبية، **المؤسسة العربية للناشرين المتحدين**، تونس، ط1، **1986م**، ص238.

(2) **راوية عبدالمنعم عباس**: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، **دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م**، ص90.

في حين أن وضعية العقل الغربي استمرت على حالها من الركود حتى مطلع القرن السابع عشر وهو ما عرف بعصر النهضة حيث انطلق الفكر الأوروبي وخرج من قمقمه في إطار النهضة العامة منذ أواسط القرن الخامس عشر وذلك بعد الاحتكاك والتأثر بالحضارات العربية الإسلامية إبان ازدهارها وتقدمها حيث استفاد الغرب وأخذوا من مناهلها ونقلوا إلى حضاراتهم حسب ما هو معروف وما شهد به المؤرخون من مختلف أنواع العلوم والثقافة، كما استفادوا من هجرات العلماء إليهم وخاصة علماء ومفكري بيزنطة بعد سقوطها[3].

وأيضاً الفتوحات الإسلامية لبلاد الأندلس التي لازالت آثارها حتى اليوم شاهداً على روائع الفن والتراث الإسلامي وبالتالي فإن الركود الذي اتسمت به العصور الوسطى كان خلال المرحلة الرومانية الذي انعكست آثاره السلبية على الجانب الفني والجمالي حيث ظهر الفن الأرستقراطي الذي يمجد القادة وانتصاراتهم ويمثل مظاهر القوة والعظمة، وكان أيضاً موجهاً للمتعة الخاصة للطبقات العليا ومعبراً عن المجون والإباحية وبالتالي كان الفن عندهم بعيداً عن الدين وغير خاضع لأية قيود أخلاقية، وهذا ما جعله فناً سافراً يفتقد إلى التناسق وحب الجمال والكمال وينقصه الإبداع الذي كان السمة البارزة في الفن اليوناني الذي أحرز تقدماً ملحوظاً في ميادين العلم والفلسفة وبالتالي هذا ما جعل الفن الروماني متأخراً عن ركب الفن اليوناني[4].

وقد شمل هذا التأخر والركود كل مظاهر الثقافة والفن أيضاً، وظلت الحركة الفنية في إطار ما خلفه (**أفلاطون وأرسطو**) وما قدمه أفلوطين (**Plotinus – 270م**) الذي أنشأ الإفلاطونية الجديدة في الإسكندرية وظلت رؤيته مرجعية يتناقلها الفلاسفة والمفكرين من بعده حيث يرى بأن الواحد المطلق هو خير مطلق ولأنه كذلك فهو جميل، وهذا على غرار ما قال به **أفلاطون** من خلال فكرته عن الواحد المطلق في عالم المثل الأفلاطوني.

الفن والديانة المسيحية

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الفلسفة المسيحية والفن المسيحي وكذلك الديانة المسيحية، ومن المعروف أن الفلسفة المسيحية قامت لكي تكمل الإيمان عن طريق العقل أو تكمل العقل عن طريق الإيمان فهي تحاول إلى جانب إيمانها بالمعتقدات أن تعبر تعبيرًا حقيقيًا عن هذه المعتقدات ولذلك سيطر الشعور بالجلال على الفن المسيحي ويظهر ذلك في عمليات المبالغة كأن يلجأ الفنان إلى تضخيم أجزاء معينة من موضوعاته الفنية بقصد إبراز صفة العظمة والجلال"[5].

وكما يقول (**إيتان سوريو – E.Souriau 1975م**) بأن الفلسفة المسيحية قد انعكست بعقيدتها على الفن والقيم الجمالية، فالحقيقة أن مسيحي العصور الوسطى لم يكونوا عند تشييد كاتدرائياتهم أكثر اهتمامًا من أناس ما قبل التاريخ اهتمامًا

(3) **حسين علي**: فلسفة الفن رؤية جديدة، **الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع**، القاهرة، ط1، **2005م**، ص149.
(4) **محمد علي أبو ريان**: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، ط8، **1992م**، ص224.
(5) **عبد الرحمن بدوي**: فلسفة العصور الوسطى، **مكتبة الأنجلو المصرية**، القاهرة، ط2، **1969م**، ص5 – 6.

بالفن من أجل الفن، إنما كان اهتمامهم، أن يعطوا لهذا المناخ العام من المشـــاعر والأحاســـيس الجياشـــة التي يثيرها داخلهم ذلك الجهد الخلاق للتعبير الأجمل قدر المستطاع"[6].

وقد رأى (**هربرت ريد H.Read–1968م**) أن الفن المسيحي قد وقع بين مذهبين وهما السوري والروماني.

فالمسـيحية الرومانية قد واصـلت في البداية التزام التقليد السـامي وقد تجنبت أي تمثيل للأشـخاص القديسـين في القرن الثاني، وقد عبر كليمانت الإسكندراني عن رأيه الكامل عندما قال: كان محظورًا تمامًـــا علينا ممارسة الفن المضلل إذ يقول النبي "لا يجب صنع شبيه لأي شيء موجود في السماء أو على الأرض"[7].

ولذلك اتجهت الفنون في القرنين الأولين إلى اســتعمال الفن الرمزي فاســتعمل الفنان التصــويرات الزيتية مثل تلك التي تختص باليمامة والسـمكة والمرسـاة والقيثارة وصـياد السـمك والراعي، وبهذا ظهرت الوحدة الفنية في أشـكال رمزية متعددة، وعن طريقه اسـتطاعت المسـيحية التعبير عن أفكارها ومعتقداتها عبر الفنون الرمزية لتحدث نوعًـــا من المشـاركة الانفعالية بين معتنقي المسيحية"[8].

ولكن الكنيسة الرومانية قد غيرت تدريجيًـــا سياستها، وحوالي القرن الخامس سمح برسم عيسى الناصري وبالطبع سمح أيضًا برسم تلاميذه الرسل والقدسيين، وإن كان بعض الطوائف مثل النسطوريين بالأخص ظلوا غير مقتنعين"[9].

الجدل حول فن التماثيل الدينية

يرى " هربرت ريد " أن الجدل الذي قام حول التماثيل الدينية لم يكن قضـية لاهوتية مجردة، رغم أن البيئة التي عايشـها الإمبراطور " ليو" والتي اسـتهلها بالإصـلاح كانت تتخللها أفكار مناهضـة للتماثيل الدينية، فجميع المعتقدات المتوارثة للأباطرة المسيحية، تتضمن ذلك، في اللاهوت، فكانت الصلة وثيقة بين الكنيسة والدولة إلى درجة كان الإمبراطور بواسطة منصبه يغير الكنسية الرسمية، وبالتالي كانت هناك من وجهة نظر "هربرت ريد" أسبابًا سياسية واجتماعية للجدال حول التماثيل الدينية، فكان الإمبراطور " ليو" يستخدم وجهة النظر الدينية لدعم مخططه السياسي من حيث تطهير ورفع المستوى الوضيع للمجتمع"[10].

ويعلن أيضـاً أن بعض اللاهوتيين الرافضـين للتماثيل الدينية اسـتندوا في موقفهم على أن مثل هذه الفنون التمثيلية قد تؤدي إلى الوثنية التي تحاربها المسيحية حيث يعتبر الرافضون للتماثيل الدينية، الصور كرسم لروح الإنسان من العبودية المتغطرسة

---

(6) **إتيان سوريو**: الجمالية عبر العصور، **ترجمة ميشال عاصي، منشورات عويدات**، بيروت، ط2، **1982م**، ص118.

(7) **H. Read**: Art and Society, **Faber and Faber**, London 1936, p.58

(8) **Ibid**: pp. 57. 58.

(9) **هربرت ريد**: الفن والمجتمع، **ترجمة فارس متري، دار العلم للملايين**، بيروت، **1975م**، ص 88 ص 89.

(10) **نفسه**، ص 89 ص 90.

للإله إلى العبودية المنخفضة والمادية للمخلوق، إنهم يعتبرون الوثنية كموقف للعقل بحيث يقود المتدين ليستبدل الشيء المخلوق لأجل خالقه[11].

ولكن مع تطور العقلانية المسيحية قد تطور هذا الموقف الرافض للتماثيل الدينية فهذا هو القديس (**يوحنا 36م**)كما يقول "هربرت ريد" بأن الدفاع عن الصور كما جاء به القديس (**يوحنا الدمشقي749م**) هو دفاع محكم ومنطقي حيث اعتبر أن الصورة الفنية إن هي إلا رمز وسيط للتعليم، وأكد (**القديس يوحنا**) أيضًا على أن الصورة المقدسة مثل شخص الصليب واهب الحياة، ويجب فرض هذه الفنون في الكنائس والأماكن المقدسة حينئذ تعبر الكنائس عن الإيمان الصادق"[12].

وبهذا يجب على الفنان المسيحي عند "**هربرت ريد**" رسم المسيح عليه السلام والسيدة العذراء وجميع القديسين الصالحين، لأنه كلما اعتاد الناس على رؤيتهم في صورة فنية كانوا أكثر استعدادًا لتذكر أسلافهم والحنين إليهم، ويجب على كل مسيحي تعظيم هذه الفنون وتقديسها حيث أن تكريم الصورة الفنية يتعداها إلى تكريم من تمثله هذه الصورة"[13].

ويقدر في النهاية فيلسوفنا أن التعارض لم يكن فقط بين النصرانية والفن ولكن كان أيضًا وخاصة في جنوب أوربا بين معتقدين في الفن الأول خاضع للدين والآخر حر والاتجاه الحر يمثل النهضة الأوروبية وهي النزعة الدنيوية لفن أصبح حيويًا جدًا لدرجة أنه لم يعد يخضع لمراقبة دينية تمامًا كما هو الأمر في الفلسفة، وهي مرحلة تشير إلى تحرر بطيء للعقل من مراقبة الدوغما فوق طبيعية، وكذلك الفن أصبح محررًا من المراقبة الأكليركية، فعالم الطبيعة برمته مفتوح للفنان وهناك بإمكانه أن يتحرك حرًا ويختار ويحمل ويرسم كل ما يريد"[14].

وفي النهاية يقف موقفًا وسطًا فهو لا يؤيد الحرية الكاملة والإباحة لأنها في النهاية ستكون ضد الفن وكذلك يعلن أنه لا يؤيد أيضًا الرقابة الدينية الصارمة على الفن فتراه يقول " غير أننا نستبعد قبول الافتراض الشائع والقائل بأن الفن هو خادم الدين والقول حتى بأنه متكل على الدين لأجل معيشته وإن كان الدين في مظاهره التاريخية قد اعترض الفن بصورة قاطعة"[15].

ويمكننا في نهاية هذا المبحث ملاحظة أنه حاول جاهدًا البحث عن استقلالية الفن من خلال دراسته لعلاقة الفن بالأنماط الثقافية والحضارية والدينية التي يعيش الفن في أجوائها وهذا ما اتضح لنا من دراسته للفن وعلاقته بالدين والأساطير السحر في المجتمع البدائي ثم في الأديان السماوية، وهذا ما اتضح في دراسته للديانة المسيحية، وكل ذلك سعيًا وراء إثبات استقلال القيم الجمالية في فلسفة الفن، وهو يؤكد على ضرورة وجود الموهبة الفنية لدى الأفراد ويحثنا على ضرورة تنميتها وتربيتها عن طريق التجربة الجمالية.

---

(11) **نفسه**، ص 90.

(12) **نفسه**، ص 91.

(13) **H. Read**: Art and Society , p.61

(14) **هربرت ريد**: الفن والمجتمع، ص 95 ص 96.

(15) **نفسه**، ص79.

وهذا ما جعله يهتم بالتربية وخاصة في نظم التعليم عن طريق الفن والقيم الجمالية وكذلك ظهرت عنده كل القيم في ثوب جمالي، وغرس الجمال في أرض الأخلاق فظهرت السعادة عنده كقيمة جمالية، وأريد للسياسة أيضًا أن ترتدي لباس الجمال فظهرت الحرية كقيمة جمالية، وانتهى إلى ضرورة أن يكون الفن طريقًا للتربية فالتربية الحقيقية لابد أن تكون عن طريق الفن والقيم الجمالية.

ومما لا شك فيه أن فلسفة التربية هي محاولة صريحة لفهم ماهية الفن وأسسه الجمالية، وتطبيق لأهم مبادئ علم النفس وفلسفة الجمال محاولاً إثبات أن الجمال له ضرورة في الطبيعة الإنسانية، فالفن عند "هربرت ريد" هو نشاطًا تلقائيًا يظهر في نزعات الأطفال، وهو عنصر رئيسي من مقومات الحضارة، واتخذ "هربرت ريد" الفن وسيلة للتربية، فالتربية الحقيقية في نظره لا تتم إلا عن طريق تنمية الحس والنشاط الفني، وبذلك تعتمد جماليات التربية على تربية الحواس الإنسانية تربية جمالية وذلك عن طريق ممارسة الفنون، وتسعى التربية عن طريق الفن عنده إلى تنمية الذوق الجمالي لدى الأفراد، وتنمية شخصياتهم، وتنمية قدراتهم على نقل تجاربهم الفنية إلى الآخرين، ولقد حاول بهذا الاستفادة من الفيلسوف العظيم صاحب نظرية الفن وسيلة للتربية وهو **(أفلاطون)** كما ارتبط الفن عنده بالخبرة الإنسانية فرأى أن الخبرة الحية لا يمكن أن تكون خبرة شاملة إذا اختفى منها العامل الجمالي، والخبرة الجمالية تشكيل أساس كل خبرة، والمقصود من التربية الجمالية ليست معالجة الفنون وحدها ولكن كل صنوف المعرفة وحتى ما يقع تحت الحرف يخضع لإخضاع جوانبه الجمالية فترتفع بقيم الجمال التي تجعل من هذه التربية دعامة الحضارة المعاصر، ويعلن أن الفن متضمن على أعمق وجه في واقع عملية الإدراك والفكر وحركات الجسم، وهو ليس مبدأً متحكمًا يبلغ من تحكمه أن يستطاع تطبيقه على الحياة، باعتباره وسيلة آلية **(ميكانيكية)** متحكمة لا يمكن تجاهلها إلا مع تعريضنا للهلكة، ويعلن منذ البداية في هذه الإشكالية التي يعالجها وهي التربية عن طريق الفن، أنه يغير هذه الآلية تفقد الحضارة توازنها، ولا تلبث أن تتردى في مهاوي الفوضى الاجتماعية والروحية[16].

تأثير الفن على الحضارة المسيحية

إذا ما بحثنا في جذور الديانة المسيحية فإن تأثير ذلك المعتقد الأفلاطوني والعالم المثالي والمثل الأعلى نجده لازال عالقاً في الأذهان بل تأثر به وسار على خطاه كبار فلاسفة الفكر المسيحي والإسلامي أيضاً وتداوله الفلاسفة على مر تاريخ الفكر الفلسفي.

وقد ظهر تأثير ذلك لدى القديس **(أوغسطين430م)** في الفكر المسيحي حيث كانت تسيطر أفكار أفلوطين والأفلاطونية الجديدة على غالبية الفلسفة المسيحية[17]، وقد اهتم بفلسفة الجمال وله مؤلف يحمل اسم "الموسيقى" تناول فيه الفن

---

(16) انظر: **هربرت ريد**: التربية عن طريق الفن، **ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب**، القاهرة، **1966م**، ص 23، بتصرف.

(17) **عبدالكريم هلال خالد**: الاغتراب في الفن، **منشورات جامعة قاريونس**، بنغازي، ط1، **1988م**، ص31.

الروحي حيث يطلق على مذهبه عالم الجمال الميتافيزيقي، فالجمال هو أحد الصفات السامية التي تقربنا إلى الله، وتقرب الفن عنده من الروح والوجدان معبراً عن تأملات الفكر المسيحي وصفائه الروحي[18].

وأيضاً ظهر هذا المفهوم اللاهوتي للواقع والجمالية في الفن لدى مؤسس الفلسفة الكاثوليكية القديس "توما الأكويني" وكان يرى أن الجمال يتطابق مع الفائدة ولكنهما يختلفان في وسائل التعبير ويقول أن المصدر الحقيقي للجمالية المطلقة عنده هو "الخالق الأعظم" الذي تصدر عنه كل ألوان الخير والجمال والمعرفة[19].

ولاشك أن الانتقال من الفن الروماني حسب نزعته الوثنية إلى الفن المسيحي يثير إحساساً بالتناقض، ففي روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية عاش الفن المسيحي والفن الوثني قرابة الثلاثة قرون متلازمين، ولم يكن يتوقع أن هذه العقيدة المتواضعة التي ظهرت في أرض فلسطين ثم امتدت إلى روما وانتشرت في المجتمع الروماني أن تغير وتخلع المعتقدات الرسمية لهذا المجتمع الكبير[20]، وتعود بالفن مرة ثانية إلى سابق عهده وتربطه بالدين وتوجهه إلى القيم والنزعة الإنسانية السامية وتجعله يدعو إلى الفضيلة ويحرض على التضحية والموت من أجل الدين والأمل في الحياة الأخروية الخالدة ومن خلال تمجيد الله وإعلاء كلمة المسيح ونصرته، وقد عبر عن ذلك الفنانون فيما رسموه من لوحات رائعة خلدها التاريخ مثل صورة صلب المسيح والعشاء الأخير، والقربان والخطيئة والملائكة.

وقد أسهمت الحركة المسيحية في تطور الفن الروماني في بناء الكنائس وأصبح فناً مسيحياً خالصاً يعرف بالفن القوطي ويرمز إلى معانٍ دينية، وبذلك تطور الفن الروماني واصطبغ بالمسيحية وتخلى عن الأرستقراطية وأصبح شعبياً في متناول سائر طبقات المجتمع، ومع ذلك لم يصل إلى درجة الديمقراطية كما هو الحال في الفن اليوناني، ذلك لأنه كان خاضعاً للعقائد الدينية وخادماً لها بينما الفن اليوناني كان فناً حراً ولذاته[21].

كما أن المسيحية الرومانية التزمت في بدايتها بالتقاليد السامية وتجنبت تصوير المسيح والقديسين[22]، وأيضاً الأشخاص ولكن هذا الالتزام لم يصمد طويلاً فمع تطور المفاهيم الفكرية وتقدمها شيئاً فشيئاً تخلت عن تلك القيود وسمحت في البداية بالصور والرسومات الرمزية كصورة الجماعة والسمكة والصياد والراعي.

كما اقتبس الفنانون الذين استقدمهم الرومان من الشرق وبعد اعتناقهم للمسيحية من الفن الوثني صورة آلهة الحب المتوجه بالأزهار والطيور وأشجار العنب، وبالتدريج تراجعت الكنيسة الرومانية وتخلت عن تزمتها وغيرت سياساتها وأصبح رسم

---

(18) **راوية عبدالمنعم**: الفن والحضارة، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، **1996م**، ص49.

(19) **سناء خضر**: مبادئ فلسفة الفن، **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**، الإسكندرية، ط1، **2004م**، ص268.

(20) **أبو صالح الألفي**: الموجز في تاريخ الفن، **دار نهضة مصر للطباعة والنشر**، الفجالة – القاهرة، ص133.

(21) **محمد علي أبو ريان**: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص226.

(22) **هربرت ريد**: الفن والمجتمع، مرجع سابق، ص89.

الأشـخاص مباحاً بل تعدى ذلك، حيث سمحت برسـم المسـيح والرسـل والقديسـين والملائكة وهذا منذ حوالي القرن الخامس الميلادي[23].

وهذا التشـدد في مظاهر الفن قد لا يدعو إلى الريبة خاصـةً في التصـوير وأعمال النحت والتماثيل فقد لازم ذلك العديد من الأديان وواجه الرفض والكراهية مثل ما حدث مع الديانة اليهودية من قبل والإسـلامية فيما بعد وظل هذا الأمر مشـكلة الفن وجدلية لم تجد لها حلاً فاصلاً حتى تاريخنا المعاصر.

وبشكل عام يمكن أن نخلص إلى أن فكرة الفن والجمال اتخذت مسارات مختلفة بداية لارتباطها بالفلسفة المثالية اليونانية ثم إلى الصـرامة العسـكرية عند الرومان ومن ثم إلى المثالية البيزنطية الدينية في العصـر الوسـيط وهي حضـارة غلب عليها الطابع اللاهوتي، وهذا ما جعل لحضـارات العصـر الوسـيط أسـلوب ديني خالص سـيطر على كافة المظاهر الفنية، فأنكروا الجمال الحسـي والمجسـمات واعتبروا أن الجسـم البشـري مصـدراً للخطيئة والشـرور واتجهوا إلى جماليات القيم الإنسـانية كالروح والعقل والعلم والمعرفة الإلهية وهي بذلك أقرب إلى سمات ومظاهر الفن الإسلامية[24].

الفن والحـضارة الإسـلامـيـة

شـهدت هذه المرحلة التي ازدهرت فيها الحضـارة العربية والإسـلامية تقدماً ملحوظاً فقد أعيد تقييم الفلسـفة اليونانية ودراستها وترجمة أهم مصادرها وتطوير وعقلنة المفاهيم والمعتقدات الخيالية والتي كان يغلب عليها الطابع الأسطوري والخرافي.

وقد برز من بين أولئك العلماء والمفكرين المسـلمين عددٌ كبير من الفلاسـفة الذي ذاع صيتهم آنذاك وأسـهموا في تطوير وإثراء تاريخ الفلسفة بشروحهم وإضافاتهم وكانت لهم آرائهم الخاصة في ميادين فلسفة الجمال أمثال (**الغزالي 505هـ**) و (**ابن رشد 595هـ**) الذي قام بتفسير فكر (**أرسطو**) وما قدمه من شروح ومقارنات اشتهر بها بين آراء أرسطو والشعر العربي[25].

كما أن (**للكندي256هـ**) و (**ابن سينا 427هـ**) و (**إخوان الصفا ق3 هـ**) كتابات مطولة في القواعد والنظريات الموسيقية.

ويعتبر كتاب (**339هـ**) الفارابي في الموسيقى أشهر ما كتب في العصور الوسطى في مجال النظريات الموسيقية ويضاهي أي كتاب ورد إلينا من المصادر اليونانية[26].

---

(23) **أبو صالح الألفي**: الموجز في تاريخ الفن، مرجع سابق، ص134.

(24) **راوية عبدالمنعم**: الفن والحضارة، مرجع سابق، ص49.

(25) **عبدالكريم هلال خالد**: الاغتراب في الفن، مرجع سابق، ص31-33.

(26) **محمد عبدالواحد حجازي**: فلسفة الفنون في الإسلام، **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**، الإسكندرية، **1999م**، ص110.

وهذا ما يرجح أن الفن الإسـلامي الذي انتشـر في الأقاليم العربية ما هو إلا إضـافة وتطوير أو صـبغة جديدة للفنون السـابقة لظهور الإسـلام في هذه المناطق، وقد أضـفى عليه الإسـلام واتسـم بتعاليمه حتى وإن ظهرت بعض الاختلافات الشـكلية الظاهرة فإن الجوهر والمحتوى متجانس ومتقارب[27].

فقد كان إقبال المسلمين إبان ازدهار حضاراتهم الإسلامية على الفنون بمختلف أشكالها وشغفوا بها وهذا ما عبرت عنه كتب السيرة والأدب والتاريخ من خلال سردها واهتمامها بالفنون من شعر وغناء ورقص.

وكان النظر إلى هذه الفنون من ناحية استثارتها للحواس فحسب، أي أن تقويم الجمال كان يستند إلى التناسب الظاهري المحكم في جميع مجالات الفنون التي تعارف عليها المسلمون.

وكان فن الشـعر يحتل الصـدارة من حيث الأهمية والإتقان وكانت الأحكام الجمالية تبحث عن المضـمون وهذا ما يدل على تمكنهم ويؤكد نظرتهم الفنية الفائقة التي تتجاوز الإدراك الحسي وتتجه إلى جمال المضـمون والمعنى[28]. وهذا ما عرف بمشـكلة الشـكل والمضـمون التي أضـحت من أهم المحاور التي تناولها الفلاسـفة واختلفت آرائهم حولها في تقييم أهمية العمل الفني من حيث الشكل والمضمون، فقد رجح فريق منهم تلك الأهمية إلى الشكل دوناً عن المضمون في حين اتجه الفريق الثاني إلى العكس من ذلك واعتبروا أن أهمية العمل الفني إنما تكمن في مضمونه وما يحمله من معنى وليس شكله الخارجي، وخرج فريق ثالث قال بأهمية الاثنين معاً على السـواء، ولعل الفيلسـوف الألماني (**جورج فليهلم فريدريش هيجل Hegl George 1770–1831م**) كان من أبرز الدعاة إلي هذا النهج ومن أصـحاب نظرية الشـكل والمضـمون في الاعمال الفنية ، ومع ذلك فقد أسـتمرت هذه المعضـلة تتقدمها الآراء بين مؤيد ومعارض حتى تاريخنا المعاصر.

الـفـن مـابـين التحـريم والإبـاحـة

الفن وكما جرت به المقادير وتقلبته الفتاوي اعتاد حظه العاثر عند كل انطلاقة جديدة له ، أن واجه مع بدايات ظهور الإسلام نقد ومعارضة شـديدة ذهبت إلى حد المنع والتحريم في أغلب مظاهره، وهذا رآه البعض سبباً في تعطيل الإحساس بالجمال عند المسلمين تجاه موضوعات الفنون في الكثير من الأقاليم الإسلامية.

وقد ظهر صراحةً هذا التحريم في صناعة الأشكال المجسمة كالتماثيل وأعمال النحت للكائنات الحية وفي بعض الأحيان الرسومات والصور البشرية بل طال هذا المنع والتحريم الكثير من صنوف الفنون المختلفة كالموسيقى والرقص والغناء[29].

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التحريم لم يمنع المسلمين قديماً من إظهار براعتهم في فن النحت وصناعة التماثيل والأعمدة المنقوشـة بالرسـومات، وبرع المسـلمون في فن الزخارف التي كانت أكثر اعتمادها على الخط المنحني الذي يمثل معنى الحنان والانعطاف، كما أن الزخرفة الإسـلامية تمثل في عمومها فكرة اللامتناهي، كما بلغت فنون النحت والتصـوير ذروتها إبان الحضـارة

---

(27) **حسين علي**: فلسفة الفن رؤية جديدة، مرجع سابق، ص167.

(28) **محمد علي أبو** ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص19.

(29) **المرجع نفسه**، ص20.

الإسلامية في الأندلس وقد جلبوا الصورة والتماثيل من البلاد الأخرى واقتبسوا من النقوش التي لاحظوها في الكنائس المسيحية في إسبانيا وصقلية[30].

فقد ساهمت الفتوحات الإسلامية في تغلغل تلك الثقافات ومنحتهم فرصة المشاهدة والإعجاب بتلك البنيان والفنون العمرانية ونقلوا منها إلى مبانيهم وتحسينها وتطوير بناء المساجد وزخرفتها إذ برزت مظاهر النقل والاقتباس لدى المسلمين من العمائر المتميزة في بيزنطة ومصر والشام وفارس والهند[31].

ولعل هذا ما دعا بعض المشككين في الغرب الادعاء بأن الحضارة الإسلامية لم تأت بجديد وإنما اعتمدت على النقل والتقليد من الحضارات التي قبلها ولكن الوقائع أثبتت غير ذلك، فقد طور العرب المسلمون وأضافوا الكثير إلى تلك الحضارات التي دخلوا عليها وفي شتى المجالات وليس العمرانية أو الحضرية فحسب بل شملت النواحي الثقافية والعلمية كعلوم الفلك والرياضيات والطب وغيرها، ونقل وتتلمذ أبناء الغرب على يد العلماء المسلمين وهذا ما كان له الفضل في صحوة الغرب، وساهم في ظهور ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا.

مظاهر اختلاف الفقهاء في تقييم الفنون

وعلى الرغم من التقدم والتطور الذي أحرزه المسلمين ومظاهر الازدهار الحضاري الذي صاحب ذلك خاصةً في المجالات الفنية وبعد الاحتكاك بتلك الحضارات الغربية المفتوحة حيث وجد الفن طريقه وانطلق بحرية تامة إلى أقصى درجاته في الانفتاح والإباحية، وقد أثر ذلك في كسر الجمود وتخطي حواجز المنع والتخفيف من لهجة التشدد والحدية ضد الفن ومع ذلك ظل المنع والتحريم القطعي ملازماً لبعض الفنون وجعله في موضع الاتهام ومثاراً للخلاف بين الفقهاء ورجال الدين حتى يومنا هذا. وقد يتفق كل الفرقاء على حرمة تلك الفنون الإباحية والسافرة كالتماثيل والصور الخلاعية أو تلك الأغاني الماجنة أو الموسيقى الصاخبة التي تثير الغرائز أو تلك الأشعار التي تمجد الوجهاء من علية القوم وهي بذلك أقرب إلى خصال النفاق من نظم الشعر.

ولكن ما يدعو إلى التساؤل والجدل هو خلاف هؤلاء الأئمة وعلماء المسلمين على ما يمكن أن يوصف بالفن الملتزم أو الفن الهادف الذي يقدم رسالة أو يخدم فكرة ما. أي ذلك الفن المحافظ البعيد عن الانحلال والخالي من المشاهد والأغراض الإباحية السافرة، فقد حرمت طائفة عريضة منهم كافة أعمال النحت والتماثيل وآخرون الصور والرسومات أو المجسمات البشرية وحتى الحيوانية منها، وإن كانت لا تظهر شيئاً من عوراتها أو تبين ما يخدش الحياء منها.

لقد شاعت فكرة تحريم وتصوير الكائنات الحية في كثير من الكتب والمؤلفات والخطب استناداً إلى بعض الأحاديث التي فسرت على أن تصوير الكائنات الحية محرم، ونذكر منها هذا الحديث: إن (**السيدة عائشة 58هـــــ – رضي الله عنها**) كانت

---

(30) **أحمد أمين**: ظهر الإسلام، **مكتبة النهضة المصرية**، ط1، **1962م**، ص32.

(31) **محمد عبدالواحد حجازي**:، فلسفة الفنون في الإسلام، مرجع سابق، ص163.

تصنع في بيتها ستراً عليه تصاوير، فقال لها **رسول الله** – صلى الله عليه وسلم – "أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي".

وبالتالي يمكن أن نفهم من ذلك أن كراهية الرسول – صلى الله عليه وسلم– للتصاوير إنما ترجع إلى ما قد تثيره التصاوير من انشغال عن الفكر والعبادة[32]، أو الاهتمام والانشغال بهذا العالم الحسي الفاني الذي لا طائل من وراءه على نحو ما تقول الآية الكريمة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[33]الحديد 19، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[34]**العنكبوت 64**. وقد وصف كثير من الفقهاء والفلاسفة أن الفن ما هو إلا نوع من اللهو واللعب، وهذا الوصف أو التعريف للفن جاء حتى من خارج الأوساط الإسلامية، إذ أن الشاعر والفيلسوف الألماني **"فريدريك شيلر" (1759–1805) Fredrich Schiller** عرف الجمال في الفن بأنه اللعب واللهو معتبراً أن الطبيعة البشرية إنما تتحقق على أكمل وجه في لحظات اللعب لا في لحظات العمل وهو تعبير عن الحرية والحرية هي اللعب وبالتالي فإن الفن هو اللعب الحر[35].

وبين هذا وذاك فقد استقر رأي كثير من المفسرين والعلماء على أن تحريم تصوير الكائنات الحية وصناعة التماثيل وأعمال النحت الذي أشيع مع بدايات ظهور الإسلام والتبشير بالدعوة، إنما يرجع إلى الخوف من انتكاسة المؤمنين الذين دخلوا الإسلام وعودتهم إلى الاعتقاد بالأوثان وعبادتها، وهذا ما دعى الأئمة إلى تحريمها ومحاربتها، وأيضاً منع تلك الأعمال الفنية التي تدعوا إلى تعظيم الأفراد وتخليدهم وفي ذلك شرك بالذات الإلهية[36].

أما تلك الأعمال الفنية الجمالية التي تصنع بقصد الزينة والمتعة البعيدة عن الإسراف والإسفاف وتكون في الحدود المعقولة والمعتدلة، فذلك ما اتفق عليه أغلب الفقهاء والعلماء كونها لا تخرج عن حدود الشرع، وتحافظ على القيود الاجتماعية والأخلاقية عملاً بنص الآيات الكريمة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[37]**القصص 77**. وهذا ما يشير إلى حكمة التوازن والوسطية والإخلال بهما هو عين الفساد.

وقد ربط المعتزلة الأخلاق بالجمال والعقل وبالشرع معاً فما حسن في نظر العقل يكون حسناً في نظر الشرع فالعقل هو أساس القيمة الأخلاقية والجمالية.

---

(32) **أميرة حلمي مطر**: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، **دار المعارف، القاهرة، 1994م**، ص132.

(33) **سورة الحديد**، الآية (19).

(34) **سورة العنكبوت**، الآية (64).

(35) **محمد عبدالحفيظ**: دراسات في علم الجمال، **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**، الإسكندرية، ط2، **2004م**، ص6.

(36) **حسين علي**: فلسفة الفن رؤية جديدة، مرجع سابق، ص169.

(37) **سورة القصص**، الآية (77).

وكان من أكثر المؤلفين تحليلاً لموضـــوع الجمال هو الإمام (**أبو حامد الغزالي**) الذي ربط ســـائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي وهذا على غرار ما فسره (**أفلاطون**) من قبله ويرى (**الغزالي**) أن الجمالات الجزئية سواءً كانت عقلية أم حسية إنما تشارك في الجمال الإلهي وترتبط به لأنه أثر من آثاره[38].

وقد بين أن حب الجمال وتعلق القلب والوجود بكل ما هو جميل واللذة التي يتحصل عليها المرء عندما يتلقى المتعة تلك التي تصـدر عن الجمال الإلهي والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال نظرة صـوفية خالصـة ويقول الغزالي في مؤلفه إحياء علوم الدين "واعلم أن كل جمال محبوب عند ذاك الجمال، والله تعالى جميل يحب الجمال".

وقد ميز بين الجمال الذي تدركه العين وذاك الجمال الذي يتصـف بالجلال والعظمة أي جمال القيم الحميدة والصـفات الحسنة والمكانة العالية والأخلاق الرفيعة والذي يدرك بحاسة القلب والوجدان[39].

وفي موضـــع آخر يؤكد أن الجمال يطلب لذاته وليس لمنفعة من وراءه ولتحقيق متعة ولذة جمالية لذاتها فهو يقول كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة وهذه اللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها[40]، وهذا اتجاه آخر في الفن أصـبح محل خلاف وتشـعبت فيه آراء الفلاسـفة، هل الفن لتحقيق لذة أو منفعة أم تحقيق أغراض أخلاقية أو سـياسـية أم أنه فوق؟ ذلك ويكون لذاته أي أن الفن للفن كما نادى به الشـاعر الروائي الفرنسـي (**تيوفيل جويتيه Gautier– م1872**) [41]. وتبعه في ذلك الفيلسوف الايطالي (**بنديتو كروتشه Croce – 1952م**).

ولعل أكثر من عبر عن وجهة النظر الإسلامية السائدة هو (**ابن خلدون 808هـــــ**) الذي يرى في الاعتدال السمة السـائدة بين العرب المسـلمين وهذا راجع إلى طبيعتهم ويتوافق مع البيئة والمناخ الذي انعكس على الناس واثر في طباعهم وجعلهم أكثر اعتدالاً في كافة أنماطهم الخلقية والأخلاقية والاجتماعية وكذلك الدينية فهم شعوب مخصوصة بالاعتدال وهذا بدوره انعكس على الجوانب الفنية والإبداعية[42].

وهذا الاعتدال المتوازن قديم منذ الأزل، فهو يذكرنا بما قاله (**ديمقريطيس Democritus – 370ق.م**) إن الجمال هو المتوازن والمعتدل في مقابل الإفراط والتفريط وإخضاع الجمال للأخلاق[43].

ولازالت هذه الرؤية المعتدلة تلازم الأعمال الفنية الملتزمة بالاعتدال حتى عصـرنا هذا، فكثير من الأئمة والخطباء يلجئون إلى ضـرب الأمثال وذكر أبيات من الشـعر في خطبهم ومواعظهم للتوضـيح والاسـتدلال بها وأخذ العبر وتزكية وتحسـين الأسـلوب

---

(38) **عند محمد علي أبو ريان**: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص23.

(39) **أبو حامد الغزالي**: إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، بيروت، ط1، **1986م**، ص280.

(40) المرجع نفسه، ص298.

(41) **محمد عبدالحفيظ**: دراسات في علم الجمال، مرجع سابق، ص6.

(42) **عبدالكريم هلال خالد**: الاغتراب في الفن، مرجع سابق، ص119.

(43) **شاكر عبدالحميد**: التفضيل الجمالي، **مطابع الوطن العربي**، الكويت، **2001م**، ص14.

الخطابي كما عرف عن الإمام (**الشيخ محمد متولي الشعراوي1998م**)، أنه كان ملهماً ويقرض الشعر في بدايات حياته وظل يحب الشعر والأمثال ويذكرها في جل أحاديثه ودروسه الدينية.

وأيضاً فإن الداعية الإسلامي (**د. سلمان بن فهد العودة**(*))، وفي إحدى أحاديثه الإذاعية المعروفة يقول بما يؤكد وجهة الاعتدال في الفن ويرى أنه جزء من طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها بشرط الاعتدال وعدم الإفراط ويقول أن الصوت الحسن يشبه اللحن الحسن دون الإفراط إلى درجة الهوس والإسفاف والمجون، فالإسلام هو دين الاعتدال في كل شيء.

ومما لا شك فيه فإن فنون الإسلام تأثرت بجوهر العقيدة الإسلامية التي وجهها القرآن الكريم والسنة والإيمان المطلق بالله الواحد الخالق المبدع المصور.

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يبيح تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل، إذ قال: "زينوا القرآن بأصواتكم". ويروى أنه استمع إلى (**أبي موسى الأشعري 52هـ**) وهو يتلوا القرآن الكريم بصوت حسن وقد جاء على شيء من التطريب فقال عليه السلام: "لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داوود". كما قال في استحسان الصوت الجميل "ما بعث نبيئاً إلا حسن صوته"[44].

وأيضاً روى عن السيدة (**عائشة – رضي الله عنها**) "كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتناشدون عنده الأشعار وهو يبتسم"، وقد قال عليه السلام: "إن من الشعر لحكمة فإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي"[45].

وإذا ما انتهينا إلى كتاب الله فإن القرآن الكريم لم يغفل عن ذكر الجمال فهو لم يترك كبيرةً ولا صغيرة إلا وأحصاها، فالجمال صفة من صفات المولى عزل وجل، وقد فصلت الآيات الكريمة الجمال في معانيه الصحيحة, وعلى الإنسان أن يبحث في تلك المعاني. قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[46]الصافات 6 . وقال أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[47]الكهف 7.

فلم يخلق الله الإنسان عبثاً بل حمله أمانة وعليه أن يشق طريقه في هذه الحياة القصيرة وله أن يختار بين النجدين الخير أو الشر، الهداية أو الضلالة وبين هذا وذاك تجد مندوبات ومحظورات وهذا فيه ابتلاءٌ كبير. فمن غفل عن ذكر ربه واتّبع هواه وأخذته الحياة الدنيا فقد خسر رهانه وفشل امتحانه.

(*) نقلاً عن البرنامج الأسبوعي "الحياة كلمة" الذي تقدمه **القناة الفضائية (mbc)** وكان يوم الجمعة **2009/06/12م**.

(44) **محمد عبدالواحد حجازي** وانظر البخاري 5048 وسنن الترمذي 12:104**فلسفة الفنون في الإسلام**، مرجع سابق، ص104.

(45) المرجع نفسه، **وانظر ابن ماجه** 1342 ص123.

(46) **سورة الصافات**، الآية (6).

(47) **سورة الكهف**، الآية (7).

والجمال وجد في هذه الحياة شأنه كمثل تلك القيم التي يجب على الإنسان أن يتعامل معها ويرى نصيبه منها وبقدر، فنجد فيه الجانب الروحي والمادي وهذه طبيعة الحياة الدنيا وطبيعة الإنسان ذاته وقد خلق الإنسان ليتعايش ويعمل بين هذين الجانبين، فلا يجب أن يسلك الاتجاه الروحي ويكون بذلك كالملائكة ولا أن يتبع الاتجاه المادي فيكون شبيهاً بالدابة تنساق وراء غرائزها، فالبشر هم أمة وسط، وهذه رسالتهم في الحياة الدنيا.

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال ما تم عرضه عن المظاهر الجمالية أثناء العصور الوسطى والأفكار التي تم طرحها من خلال آراء وتوصيفات الفلاسفة المهتمين برصد تلك الحقبة، يمكن أن نخلص إلى الآتي:

- سيطرة المعتقدات الدينية والأفكار الروحية والخرافات على كافة مظاهر الحياة آنذاك.
- تلاقح وتداخل الحضارات في الكثير من المظاهر الجمالية من البناء والعمارة وأسلوب المعيشة والعادات والتقاليد.
- سطوة رجال الدين وتسلط أفكارهم على الرعية خاصة في الجوانب الثقافية والفكرية.
- اختلاف الفقهاء في تصنيف الأعمال الفنية وتحديد علاقتها بالنواحي الدينية من حيث المنع والتحريم والإباحة.
- ميز وتطور الفنون لدى الحضارة المسيحية وتقدمها عن الحضارة الإسلامية بسبب التشدد والمعتقد الديني.
- الإسلام دين الوسطية، وهذا ما ساد ا لجوانب الفنية والجمالية تحت مسمى الفنون الملتزمة، فما هو هادف ومفيد ولا يخدش الحياء لا بأس به، يلتزم بالنواهي الدينية والنواحي الأخلاقية.

* * * * * * * * * * * * * * *

قائمة المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم** برواية قالون عن نافع.
2. **أبو حامد الغزالي**: إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، بيروت، ط1، **1986م**.
3. **أبو صالح الألفي**: الموجز في تاريخ الفن، **دار نهضة مصر للطباعة والنشر**، الفجالة – القاهرة.
4. **إتيان سوريو**: الجمالية عبر العصور، **ترجمة ميشال عاصي، منشورات عويدات**، بيروت، ط2، **1982م**.
5. **أحمد أمين**: ظهر الإسلام، **مكتبة النهضة المصرية**، ط1، **1962م**.
6. **أحمد عزيز نظمي**، الفن بين الدين والأخلاق ط **1992م**.

7. **أميرة حلمي مطر**: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، **دار المعارف**، القاهرة، **1994م**.

8. **حسين علي**: فلسفة الفن رؤية جديدة، **الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع**، القاهرة، ط1، **2005م**.

9. **راوية عبدالمنعم عباس**: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، **1996م**.

10. **راوية عبدالمنعم**: الفن والحضارة، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، **1996م**.

11. **سعيد توفيق**، تأويل الفن والدين، **الدار المصرية**، **2017م**.

12. **سناء خضر**: مبادئ فلسفة الفن، **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**، الإسكندرية، ط1، **2004م**.

13. **شاكر عبدالحميد**: التفضيل الجمالي، **مطابع الوطن العربي**، الكويت، **2001م**.

14. **عبد الرحمن بدوي**: فلسفة العصور الوسطى، **مكتبة الأنجلو المصرية**، القاهرة، ط2، **1969م**.

15. **عبدالكريم هلال خالد**: الاغتراب في الفن، **منشورات جامعة قاريونس**، بنغازي، ط1، **1988م**.

16. **فتحي إبراهيم**: معجم المصطلحات الأدبية، **المؤسسة العربية للناشرين المتحدين**، تونس، ط1، **1986م**.

17. **كاظم شمهود**، الارتباط التاريخي بين الفن والدين (مقال على الإنترنت).

18. **محمد عبدالواحد حجازي**: فلسفة الفنون في الإسلام، **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**، الإسكندرية، **1999م**.

19. **محمد علي أبو ريان**: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، ط8، **1992م**.

20. **هربرت ريد**: الفن والمجتمع، **ترجمة: فارس متري الظاهر، دار القلم**، بيروت، **1975م**.

21. **هربت ريد**، الفن والدين بين التقليد والنقد (مقال على الإنترنت)

22. H. Read: Art and Society, Faber and Faber, London 1936

23. البرنامج الأسبوعي "**الحياة كلمة**" الذي تقدمه القناة الفضائية (mbc) يوم الجمعة 12/06/**2009م**.

* * * * * * * * * * * * * * *